

تفسير أبي السعود

12 - حول المدينة من الإعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند إرادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم E وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى ا تعالى اليه E بأنهم سيعتلون ويقولون شغلنا أموالنا وأهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرء شغلنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا ا تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم إليك بأباطيلهم فمن يملك لكم من ا شيئا أى فمن يقدر لأجلكم من مشيئته ا تعالى وقضائه على شيء من النفع إن أراد بكم ضرا أى ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرء ضرا بالضم أو أراد بكم نفعا أى ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهلكم فأى حاجة الى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالته الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان ا بما تعملون خيرا فإنه إضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان ا خيرا بجميع ما تعملون من الأعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مبادئه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الخ مفسر لما فيه من الإبهام أى بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبدا بأن يستأصلهم المشركون بالمرّة فخشيتم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقديره تاء التانيث وأما الأهالى فاسم جمع كالليالى وقرء إلى أهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم وقرء زين على البناء للفاعل بإسناده الى ا سبحانه أو إلى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به إما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته E فإن الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال وكنتم قوما بورا أى هالكين عند ا مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع بائر كعائد وعوذ أو فاسدين في أنفسكم وقلوبكم ونياكم لاخير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من ملك بناء ومعنى لذلك وصف به الواحد

